



حسيه راشد بواسطة المحرر فلسفة الزحام بين الانطوائية و الإجرام بفكر :

فلسفة الزحام بين الانطوائية و الإجرام

بفكر : حسيه راشد

التأمل في المجتمعات

الحديثة والمعتم خاصة بشأن التغيرات الإنسانية وقد ينحصر حديثنا في إطار منطقتنا

العربية " وسط الدنيا" والتي لا تفصل بحال من الأحوال عن العالم .. كان علينا

حينما نبحر في موضوع كهذا أن نتكلم عن ما نعرفه و ما يعود علينا بداية ثم ننظر

لما بعده , فالمتبج للحياة الجديدة والظروف المتغيرة و التطور الذي حدث في سنتي

مناحي العلم والمعروفة سيجد خلا ما

في طريقة التعامل بين الأشخاص و باتت الحياة على غير ما ألفها الإنسان في سائر العصور بالتغيرات التي

طرأت و غيرت من " سيكولوجية" الحالة النفسية لمواطني المدن و ربما أيضا القرى وسيعرف تمام المعرفة أن

هناك تحولا غير مسبوق في الشخصية المجتمعية , و أن هناك ما استجد على شخصية الإنسان عامة " ككائه

اجتماعي" وتحوله إلى كائه " انطوائي" و خاصة بعد أن دخل عالم الإنترنت وأغلب هذه المجتمعات وفي كل

طبقاتها من العليا إلى الدنيا و العكس .. و يمكنه أن يستخدم الاصطلاح الذي لخص هذا التغير ليس لأهميته

ولكن لمعرفة كيف أصبح الإنسان غربيا في مجتمعه بينما يقول المصطلح " العالم قرية صغيرة" بينما في هذه

الأوقات نرى كيف للمواطن في أي من أنحاء العالم أنه بات غربيا عن أقرب شخص يستطيع الاستجداد به في

الحية الذي يتكلم مع غيره على بعد آلاف الأميال بحميمية تعارفية و يتحدثون في أدق التفاصيل

الحياتية و كأنهما في غرفة واحدة يحتسون المشروبات . والعجيب بالطبع ليس هذا بل إننا بتنا ومنا كثيره

قد لا يعرفون اسم جارهم المباشر الذي يسكن أمامهم مباشرة أو شكله أو حالته , بدعوى سنتي , في الحية

الذي كانت المجتمعات القديمة تعرف بالعصبية والقبائلية لاندماج عنصري العصب و الحياة مقبلية على بعضهم البعض يربطهم عصب الحياة , فثان هناك تكاملا بشكل دائم . وكانت هذه المجتمعات القديمة والتي اُثرت في الحياة إيجابيا بتلويح القوميات ولا داعي أن نذكر أن حتى في الدير ذاته كانت هناك تلك النظرة فكانت الرسائل السماوية تنزل من السماء على أبناء أبيه واحد من نوح اصطفايا لعنصره الطيب و بركة أبنائه و تقواهم .. ولا شك أن هذه المسألة جدلية و فيها آراء عدة لكننا هنا لسنا بصدد أن نتحدث في أمور الدير والاصطفاء و لكننا نورد بعضا من التاريخ المتعارف عليه كي نمهد للحوار المدروس و المنهج الإنساني , و فلسفة الزحام و ما نتج عن الزحام غير المدروس وغير القابل للتطور لعدم اجتماعه أولا على هدف للحياة , وعدم اكتوائه في بناء وتشكيل آليات للمستقبل تكون لبنة لمن يليه من جيل إلى جيل.

في مصر كانت هناك

الأسر الفرعونية المتعاقبة على حكم مصر .. كانت كل أسرة تنشئ لها مدينة تجعلها العاصمة البديلة للعاصمة التي كانت قبلها فانتشرت الحضارة في ربوع مصر بأكملها تناقلا و تحدينا و إتاحة لتخصيب أرض جديدة و تنقل عمران الأرض حتى اتسعت رقعة الحياة الأمر الذي أنتج أبوابا جديدة للعمل الدائم والمتواصل, حتى من السنوات مورا بالفتح الإسلامي و بداية إنشاء القاهرة التي كانت عبارة عن صحراء قاحلة. كل هذا كان يدل على أنه كان هناك فلكا لتعمير الأرض و فرد مساحات الحياة بإنشاء عواصم جديدة يهاجر إليها المنتفعين والعاملين والمحتاجين فتحت بهذه المتطلبات تلك البيداء و تصبح مدينة جديدة تضاف لما سبقها من مدن و عواصم, كان القدماء يتعدون تماما عن الرقع الزراعية التي كانت بالنسبة لهم سلة الغذاء ووقود الحياة , كانوا يقدسون الحياة والممات فابتنوا لأنفسهم وفيما يعتقدوا لأرواحهم بنايات هي الباقية حتى الآن لتدلنا عن شيء هام للغاية " الفكر المستقبلي" والتخطيط العمراني لأجيال و أجيال .. حتى الممات .. كانت النواحي الشرقية للمدينة هي الإشراف و بداية الحياة ابتنوا عليها معيشتهم

و زراعتهم و تنقلوا من شمالها إلى جنوبها .. أم غربها فكان في معتقدهم أنه للحياة الأخرى "البعث" , كل هذا كان دليلا واعيا على هذا الفكر الإنساني العميق الذي ينظم حياته ليفعل الجملة الشهيرة " تنظيم العمل أهم من العمل ذاته" لذا فسنجد الآن في هذا الزحام والتزاحم الكبير الذي أصبحت عليه المدن الأرضية □ هذا الزحام العبيثي- غير المنظم يجعلنا نبحت عن ما أنتجه هذا الزحام من إعاقة فكرية و اجتماعية ونفسية , وما أثره هذه الزحام كل نواحي الحياة , وخاصة على العقول التي من المفترض أن تكون هي "مفتاح الحلول" و هي الآن أكثر الناس التصاقا بالزحام , في العواصم والمدن تحت وطأة الشهرة والمال,

لنا أن نعرف أن خلال الثلاثين عاما الماضية في مصر فقط أنه ازداد عدد السكان من ٤٠ مليون إلى ما فوق ثمانية مليونا , أي ضعف العدد تقريبا أو ما يزيد , وليست المشكلة في ازدياد العدد فالأرض رحبة بما عليها شرط تنظيم هذه الجموع البشرية وتوظيف الأرض لخدمة من عليها , فنجد أن مساحة الأرض ولا عجب □ لم تزد- وله تزايد على العكس تماما فمساحة الأرض التي تخرج لهذه الجموع محاصيل لتغذيتهم هي التي تنقرض يوما بعد يوم .. و المدن الجديدة والتي لا يسكنها في غالب الأمر ولا يملكها سوى ما اتفق على تسميتهم "رجال الأعمال" أصبحت مدنا بلا بشر , بل أصبحت مساحات للمتعة والرفاهية فيما تكدست العواصم والمدن الكبيرة والصغيرة بالبشر الذي يتزاحم على لقمة العيش و فرص العمل و أماكن السكن , و إن كانت المشكلة الآن نراها عظيمة فهي في المستقبل مفرجة , إن لم ندارك الأمر فسوف تكون عواقبها وخيمة .

ماذا

أنتج الزحام؟

أنتج الزحام ضيق في المكان .. ضيق في الحركة.. ضيق في فرص العمل .. ضيق في التنقل ..

ضيق في السكن .. ضيق في الأفق.. ضيق في الأخلاق.. علاوة على الأمراض العصبية و انتقال الوباء بسرعة

وفاعلية أكثر من ذي قبل.

أصبحت الحياة ما بعد الزحام حياة فوضوية عتيبة, ازدادت بسببها حجم الجرائم

وتنوعت الوسائل والنتيجة إنتاج العنف الاجتماعي و التفكك و الانحلال و تجارة المخدرات و الدعارة ,

ازدادت بسبب الزحام الفوارق الطبقيّة في مساحة صغيرة من الأرض فتولدت الطبقيّة بكل أمراضها المقيتة,

أنتجت فلسفة الزحام و سرعة الأداء تخبطا و قلقا مزمننا بداخل كل منا, زادت الجريمة, بشكل غير مسبوق ,

ففي إحدى جرائم القتل الشهيرة وجدت مقولة لطبيب نفسي وهو الدكتور □ هاشم بحري □ أستاذ وطبيب نفسي: إن

العنف فعلا زاد حاليا والقتل أصبح أكثر عنفا ودموية, وذلك يحدث لوجود الصراعات التي تبدأ بوجود اختلاف

في وجهات النظر وتعارض في المصالح وهذا يجعل الإنسان يريد حل أزمته ومشكلته بأية طريقة, والناس

الراقية المتمرنة على التفاوض تبدأ في التكفير والتعامل مع الأزمات, ولكن للأسف هؤلاء يكون هذا هو

شكلهم الظاهري فقط, لأن التفاوض نادر الاستخدام.

والزحام الذي يوجد في مصر يجعل كل إنسان يحمل داخله

توترا غير طبيعي وهو ما يسمى □ بفلسفة □ الزحام □ يجعل البشر أكثر عنفا وعموما فإن المجرم المتوتر يكون

بصورة أكبر من غيره.

و أخيرا أورد لكم هذه التجربة التي قام بها عالم أمريكي على فئران التجارب. وهو

أحد علماء النفس من العاملين بالمعهد القومي الأمريكي للصحة العقلية وعلى ذلك قام بهذه التجربة صمم

بناءا سكتيا لمجموعة من الفئران بحيث يكون البناء محكما لضمان عدم خروجهم, إضافة إلى أنه عمل على

توفير الطعام وبعد فترة ومع تزايد الفئران وصل عددهم إلى ٠.٨ في البناء المصمم ل ٤٨ فقط ورصد الباحث

حدوث تغيرات سلوكية واجتماعية غريبة تطرأ على الفئران

أ - فبالرغم من وفرة الطعام لاحظ أن كثيرا من

الحيوانات بدأت تتعدى على حقوق الآخرين مع ما كك ومشرب وماوى

ب - تحول الذكور نحو استخدام العنف

والعدوان

ج - ظهور الشذوذ الجنسي بين الذكور

د - الميل إلى الانسحاب والسلبية

هـ - أما الإنان فقد

أبدى تأسلا وإهمالا للأطفال الصغار

وعلى هذا تحول مجتمع التجربة إلى ما سماه الباحث بالانحطاط

السلوكي

الآن يمكنك تأمل ما تراه في سلوك البشر في المجتمعات المتكسفة

مع التأكيد على وجود ما يهذب

سلوك البشر مثل القيم الدينية والعادات والتقاليد الاجتماعية

ومع العلوم الحديثة والدراسات في عالم

البيئة نجد فكرة الإثارة أو الاستثارة:

وهي مع المفاهيم الرئيسية في حقل علم النفس البيئي فكرة

الإثارة أو الاستثارة ومعروف أن الإثارة تنجم مع الضغط وتعرف الإثارة بأنها عبارة مع زيادة في نشاط

الدماغ والاستجابات الذاتية، أو الآلية، مثل معدلات ضربات القلب أو معدلات التنفس ، لأنها ترتبط مع

بعض الأحداث التي لا تسبب الضغط، كذلك فإن الإثارة لا تحدث فقط نتيجة للمثيرات السيئة أو المرعبة،

ولكنها أيضا تحدث نتيجة للمثيرات السارة أو السعيدة، ولذلك يمكن وصف البيئة في إطار قدرتها على إثارة

الاستئارة. ومنه الموضوعات التي درسها علم النفس البيئي تأثير الزحام على القدرة وعلى الفردان وعلى سلوكها العدواني ، وتأثير درجة الحرارة على العنف ودراسة العلاقة بين الحرارة والجريمة.

البيئة

الفيزيائية إما أن نشعرنا بالراحة والسعادة والاسترخاء والرضا والمتعة والصحة ، أو نشعرنا بالضيق والتعب والإرهاق كما يحدث عندما نتعرض للحرارة الشديدة أو الرطوبة أو الضوضاء أو الزحام الشديد أو البرودة الزائدة . وكما أننا نتأثر بالبيئة فإننا كذلك نؤثر فيها وهذا التأثير قد يكون سلبا أو موجبا والمأمول أن يكون موجبا ، فقد نقود سيارة ينطلق منها دخان العادم ونجوب بها المدينة وقد نقوم بزراعة حديقة المنزل بالزهور والرياح وقد نقوم بنظافة المنزل أو مكان العمل فالعلاقة بين الإنسان والبيئة علاقة تفاعل أي تأثير وتأثر وإن هذا التفاعل قد يكون إيجابيا أو سلبيا. "هذا بالطبع له يأتي وسط الزحام" بل يتأتى بصناعة مساحات لكل هذه الأشياء التي يجب أن نزرعها أو نمشي عليها .. وهذا له يأتي في ظل الزحام وحرارة الأجساد الملتحمة في المواصلات العامة وفي الشوارع والأسواق وكل ما يحيط بنا من "زحمة"

فهل لنا أن نتدارك أمرنا و نعلم أننا بشرا يمكننا فك هذا الزحام بفتح مجالات حياة جديدة بعماران الأرض و عمارتها .. و أن نبدأ حقيقة في توعية الجماهير بنتائج هذا الزحام وفلسفته التي قد تعدى على حقوق الآدمية و الإنسانية , فتتقلب بنا الحياة إلى حياة "الأنعام" و تصبح حياتنا جحيما بهذه الفلسفة الزحامية التي تخرج الإنسان عن إنسانيته و عن فطرته التي فطرها الله على السعي في منابها و نتخلي ولو لبعض الوقت عن هذه المركزية التي بدلت حياتنا من التطور إلى التدهور , و أن بإمكاننا حقا أن نوظف كل هذا الكم من البشر في تعمير الأرض و عمارتها , وفتح أبواب جديدة للحياة عوضا عن تلك الغابة التي أصبحت من فيها يتنازع ويتعارك على سلب حق الآخرين , و لنا في الحديث بقية ياذن الله

حسيه

راشد

نائب رئيس حزب مصر الفتاة

و رئيس الاتحاد العربي للإعلام الإلكتروني

المراجع

أ

-الإنسان وعلم النفس - د. عبد الستار إبراهيم - سلسلة عالم المعرفة العدد ٨٦ - دولة الكويت

nuohlaC

١٩٦٢ - row - &repraH : new York - roots of behavior (.de) bliss l.e in -h